مجلة القرطاس
مجلة علمية محكمة نصف سنوية
تصدر عن الجمعية الليبية للعلوم التربوية والإنسانية ISSN 3135-4564
https://alqurtas.alandalus-libya.org.ly/ojs/index.php/qjhar/index

دور الوثائق البريطانية والمصرية في إعادة كتابة تاريخ ليبيا الحديث (1835-1961) دراســـة تحليلية مقارنة

د.سالم أحمد مســـــعود هميلة*
كلية التربية براك ، جامعة وادي الشاطي ، ليبيا .
البريد الإلكتروني: salembnhamila@gmail.com
0009-0005-0694-3207

تاريخ الارسال2026/5/21م تاريخ القبول2026/8/11م

The Role of British and Egyptian Documents in Rewriting the Modern History of Libya (1835–1961)

A Comparative Analytical Study

*A*bstract *:*

The study provided a comprehensive and methodological assessment of the role of British and Egyptian documents in re-reading and correcting the historical narrative of modern and contemporary Libya during the period (1835–1961), an era that witnessed pivotal transformations from the end of the Ottoman period, through the Italian occupation and military administration, to the post-independence phase and the establishment of the modern state The study explored this role through a comparative analysis of original archives from both parties, deconstructing the strategic, political, economic, and legislative foundations, and monitoring how British international interests intersected with Egyptian regional aspirations in determining the path of Libyan political decision-making It also shed light on consular reports, agent networks, exploration journeys, the impact of health and social crises, and the ideas of intellectual elites such as the Jeremy Bentham model

The study concluded that modern Libyan history was not the product of isolated internal factors, but rather a reflection of a complex geopolitical environment in which the security of great powers intertwined with the

حقوق النشر © للمؤلف/للمؤلفين2026. ينشر هذا البحث بموجب رخصة المشاع الإبداعي Creative Commons (CC BY-NC 4.0

challenges of the regional neighborhood The analysis proved that documentary material revealed that Libya's state choices were not always driven by complete free will, but were a forced response to deteriorating economic realities and existential security concerns amidst the pressures of the Cold War, thereby correcting the traditional narrative that interpreted Libya's international relations as absolute submission It also concluded on the necessity of activating digital academic cooperation and overcoming translation challenges, asserting that history can only be written fairly through the intersection of conflicting archives, thus laying a fundamental foundation for rewriting Libyan history with complete objectivity, far from ideological biases.

Keywords : British Documents - Egyptian Documents - Modern Libyan History - Monarchy Era - International Relations

الملخـــــــص :

تناولت الدراسة تقييماً شاملاً ومنهجياً لدور الوثائق البريطانية والمصرية في إعادة قراءة وتصحيح السردية التاريخية لليبيا الحديثة والمعاصرة خلال الفترة (1835-1961م) وهي الحقبة التي شهدت تحولات مفصلية من نهاية العهد العثماني مروراً بالاحتلال الإيطالي والإدارة العسكرية وصولاً إلى مرحلة الاستقلال وتأسيس الدولة الحديثة، واستعرضت الدراسة هذا الدور عبر تحليل مقارن للأرشيفات الأصلية للطرفين حيث فكّكت المرتكزات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية والتشريعية، ورصدت كيفية تقاطع المصالح الدولية البريطانية مع الطموحات الإقليمية المصرية في تحديد مسار القرار السياسي الليبي، كما سلَّطت الضوء على التقارير القنصلية وشبكات الوكلاء ورحلات الاستكشاف وتأثير الأزمات الصحية والاجتماعية وأفكار النخب الفكرية كنموذج جيرمي بينثام وتوصلت الدراسة إلى أن التاريخ الليبي لم يكن نتاجاً لعوامل داخلية منفردة إنما كان انعكاساً لبيئة جيوسياسية معقدة تداخلت فيها أمن القوى العظمى مع تحديات الجوار الإقليمي وأثبت التحليل أن المادة الوثائقية كشفت أن خيارات الدولة الليبية لم تكن دوماً نابعة من إرادة حرة كاملة إنما كانت استجابة قسرية لواقع اقتصادي متردٍ وهواجس أمنية وجودية في ظل ضغوط الحرب الباردة مما يُصحح السردية التقليدية التي فسَّرت علاقات ليبيا الدولية كخضوع مطلق، كما خلصت الدراسة إلى ضرورة تفعيل التعاون الأكاديمي الرقمي وتجاوز تحديات الترجمة، مؤكِّدةً أن التاريخ لا يكتب بإنصاف إلا عبر تقاطع الأرشيفات المتناقضة مما يضع لبنة أساسية لإعادة كتابة تاريخ ليبيا بموضوعية تامة بعيداً عن الأدلجة

الكلمات المفتاحية: الوثائق البريطانية - الوثائق المصرية - تاريخ ليبيا الحديث - العهد الملكي - العلاقات الدولية.

تمهيد :

تُعد الوثائق التاريخية الشريان المغذي لإعادة بناء السردية التاريخية لأي أمة، وفي الحالة الليبية تكتسب الوثائق البريطانية والمصرية أهمية استثنائية نظرا لتشابك العلاقات الدولية والإقليمية التي أحاطت بليبيا طوال قرن ونصف، يهدف البحث إلى التعرف على دور الوثائق البريطانية والمصرية في إعادة كتابة تاريخ ليبيا الحديث وتحليل دور هذه الأرشيفات في تسليط الضوء على الحقبة الممتدة من الوجود العثماني الثاني وصولاً إلى فترة ما بعد الاستقلال متجاوزاً بذلك السرديات التقليدية التي غالباً ما تعتمد على المصادر الثانوية، إن الاعتماد على الوثائق الأصلية المحفوظة في الأرشيفات الوطنية البريطانية ودار الوثائق القومية المصرية يمنح الباحثين أدوات منهجية دقيقة لتفكيك التشابكات السياسية والاقتصادية التي شكلّت ملامح الدولة الليبية الحديثة.

لا يقتصر هذا البحث على مجرد عرض المعلومات الوثائقية إنما يسعى إلى خلق مقارنة تحليلية بين منظورين: أحدهما دولي استعماري يمثله الأرشيف البريطاني وآخر إقليمي قومي يمثله الأرشيف المصري من خلال هذا المنهج يطمح البحث إلى تقديم قراءة متوازنة تبرز خصوصية التجربة الليبية في ظل صراعات القوى الكبرى وتضع الحقائق التاريخية في نصابها الصحيح.

المقدمة :

تعد الوثائق التاريخية الشريان الحيوي الذي يغذّي ذاكرة الأمم، ويمنح المؤرخين القدرة على إعادة بناء السردية التاريخية بدقة وموضوعية؛ فهي تتجاوز كونها مجرد أوراق ومراسلات لتصبح شهادات حية توثق التحولات السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي مرت بها الدول عبر أزمنة مختلفة، إن الاعتماد على الوثائق الأصلية لا يقتصر على استرجاع الوقائع فحسب؛ إنما يمتد إلى كشف خبايا اتخاذ القرار وتفسير الدوافع الخفية وراء الأحداث الكبرى مما يجعلها المرجع الأساسي والمنطلق العلمي لأي دراسة تاريخية رصينة تسعى للوصول إلى الحقيقة بعيدا عن التحليلات السطحية أو الروايات التاريخية الأحادية التي قد تفتقر إلى العمق والتوثيق المنهجي.

والوثائق البريطانية والمصرية تكتسب أهمية استثنائية نظرا للدور المحوري الذي لعبته هاتان الدولتان في تشكيل مسار التاريخ الليبي الحديث خلال الفترة (1835-

1961م) فقد مثَّلت الوثائق البريطانية رؤية القوى الدولية الطامحة لتأمين قواعدها وحماية مصالحها في منطقة حوض المتوسط حيث عكست الوثائق المصرية نبض الجوار القومي والعمق الاستراتيجي الذي أرادت ليبيا الارتكاز عليه في مراحل تحررها وتأسيس دولتها إن التقاطع بين هذين الأرشيفين يسمح بتفكيك التشابكات المعقدة التي أحاطت بليبيا ويوضح كيف تداخلت الطموحات الاستعمارية مع التطلعات الوطنية مما جعل من هذه المادة الوثائقية المادة الخام التي يعاد من خلالها صياغة وفهم ملامح الدولة الليبية وتطورها عبر مختلف المحطات التاريخية الفارقة.

تكمن أهمية دراسة هذه العلاقات في كونها تقدم تفسيراً علمياً للأسباب التي دفعت ليبيا لتبني سياسات خارجية تراوحت بين التحرر والارتهان للمصالح الدولية متأثرة ببيئة أمنية مضطربة وتحديات بنيوية عجزت عن مواجهتها بمفردها تاريخيا، لم تكن خيارات الدولة الليبية الناشئة أو الإدارات التي سبقتها وليدة فراغ إنما كانت نتيجة لضغوط إقليمية وجودية وتنافس محموم بين القوى العظمى في ظل ظروف الحرب الباردة والحاجة الماسة للمعونات الاقتصادية لتثبيت أركان الحكم لذا؛ فإن تحليل هذه العلاقة التاريخية يُعد مفتاحاً لفهم الجذور السياسية والأمنية التي لا تزال آثارها ممتدة في الذاكرة الجمعية وفي التفاعلات الراهنة مما يجعل من مراجعة هذه الحقبة ضرورة مُلِحَّة لتصحيح المفاهيم التاريخية السائدة.

ثانيا ــ إشكالية البحث:

اتسم تاريخ ليبيا ـــــ خلال الفترة (1835-1961) ـــ ببيئة سياسية انتقالية معقدة؛ حيث تداخلت طموحات القوى الاستعمارية مع التطلعات الوطنية الليبية مما دفع الفاعلين المحليين لتبني سياسات خارجية تراوحت بين التحرر والارتهان للمصالح الدولية، وفي ظل ندرة المراجع التي تدمج بين الأرشيفات المتباينة، ظلت كثير من الخفايا السياسية رهينة الغموض أو السرديات الأحادية، وقد استطاعت الوثائق البريطانية والمصرية ـــ بما تحمله من تقارير ومراسلاتـــ كشف طبيعة التوازنات التي حكمت الدولة الليبية الناشئة؛ حيث مثَّلت الوثائق البريطانية رؤية القوى الدولية الطامحة لتأمين قواعدها، بينما عكست الوثائق المصرية نبض الجوار القومي والمحاولات الليبية لإيجاد عمق استراتيجي بديل؛ فرغم التحديات الجسيمة كالعجز المالي والضغوط الاستعمارية تُظهر الوثائق أن القرار الليبي لم يكن دائما مسيَّراً كلياً إنما تضمن محاولات مناورة سياسية لاحتواء الأزمات.

وتبرز مشكلة البحث في الإجابة على التساؤل الآتي:

إلى أي مدى أســـهمت الوثائق البريطانية والمصـــرية في تصـــحيح وإعادة كتابة السردية التاريخية لليبيا الحديثة في الفترة ما بين 1835 و1961؟

ثالثا ـ أهداف البحث:

سوف يهدف البحث إلى تحديد الآتي:

ـــــــ التعرف على طبيعة المحتوى الأرشيفي البريطاني والمصري المتعلق بالتاريخ الليبي.

ـ توضيح كيفية تقاطع الرؤى الدولية والإقليمية في تشكيل القرار السياسي الليبي.

ـــــ تحليل العوامل الاقتصادية والأمنية التي أثرت في استقرار العهد الملكي وتأسيس الدولة.

ـــــــ تحديد الفجوات في السـردية التاريخية التقليدية وكيفية سـدها من خلال الوثائق الأصلية.

رابعا ـ فرضية البحث:

ـــــ كلما اعتمد المؤرخ على تقاطع الوثائق البريطانية والمصرية في دراسة التاريخ الليبي الحديث تمكن من تجاوز الســرديات الاســتعمارية التقليدية، ووصــل إلى رؤية أكثر توازنا وموضــوعية تكشــف دور الدولة الليبية باعتبارها فاعلا ســياســيا يحاول الموازنة بين ضغوط المصالح الغربية والعمق القومي العربي.

خامسا ـ أهمية الدراسة:

تبرز الأهمية العلمية للدراســـة في إعادة قراءة التاريخ الليبي الحديث بعيدا عن الســرديات التقليدية التي اعتمدت على المصــادر الثانوية؛ وذلك بتســليط الضــوء على المرتكزات الوثائقية البريطانية والمصـرية التي شكَّلت ملامح الدولة الليبية في مراحل الأولى لتأسـيسـها وما بعدها، وتكمن الأهمية الأكاديمية في توفير مرجعٍ بحثيٍ متكاملٍ يعتمد على الأرشـيفات الأصـلية لتفكيك التشـابكات السـياسـية والاقتصـادية المعقدة مما يرفد حقل الدراسـات التاريخية والعلوم السـياسـية بنموذج تحليلي مقارن يوضـح كيفية تفاعل الدبلوماسية الدولية مع الطموحات القومية الإقليمية في بيئة جغرافية استراتيجية كليبيا ويصحح المفاهيم التاريخية المرتبطة بفترة العهد الملكي.

تبرز الأهمية التطبيقية للدراســة في تقديم رؤية اسـتشـرافية وتحليلية لصـنَّاع القرار والباحثين حول طبيعة التوجهات السـياسـية الليبية التاريخية مما يسـاعد في فهم أبعاد التدخلات الخارجية الحالية في ضوء مخرجات وتراكمات تلك الفترة التاريخية الهامة، كما تكمن أهميتها العملية في تقييم مدى نجاح الأدوات الدبلوماسـية والمعاهدات الدولية

في تحقيق الاستقرار أو خلق التبعية السياسية مما يمنح القارئ والمهتم بالشأن الليبي فهما أعمق للجذور التاريخية التي لا تزال تؤثر في التفاعلات الأمنية والسياسية المعاصرة في ليبيا ومنطقة حوض المتوسط.

سادسا ـ منهج البحث:

سوف تتبع الدراسة الحالية المنهج التاريخي التحليلي المقارن؛ وذلك من أجل تتبع تطور الأحداث السياسية خلال الفترة الزمنية المحددة (1835-1961)، مع إجراء مقارنة منهجية بين محتويات الأرشيفين البريطاني والمصري للوصول إلى استنتاجات أكثر دقة حول خبايا العلاقات الدولية وتحليل آثار الوثائق المكتشفة على إعادة كتابة تاريخ ليبيا الحديث وتصحيح مساراته البحثية.

المحور الأول ـــــ الإطار المنهجي والنظري لدراسة الوثائق الأرشيفية (البريطانية والمصرية):

تمثل دراسة التاريخ الحديث والمعاصر لدولة ليبيا مغامرة بحثية دقيقة تتطلب الغوص في أعماق الأرشيفات الأجنبية لسد الفجوات المعرفية الكبيرة الناتجة عن ندرة التدوين المحلي ويبرز التقاطع بين الوثائق البريطانية والمصرية أداةُ تحليلية مقارنة لإعادة قراءة وتحقيق الرواية التاريخية بعيدا عن التحيزات الأيديولوجية المسبقة يهدف هذا المحور إلى تفكيك الأسس المنهجية والنظرية التي تستند إليها هذه الوثائق في تفسير مسارات صنع القرار الليبي خلال الفترة (1835-1961)

أولا ـ إشكالية كتابة تاريخ ليبيا الحديث والمعاصر:

تطرح كتابة تاريخ ليبيا الحديث والمعاصر إشكالية كبرى تتمثل في شح المصادر المحلية العربية ومحدودية الإحصائيات والبيانات الرسمية المتعلقة بمختلف مناحي الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية في تلك الحقب الزمنية الحرجة، هذا النقص المتجذر في التدوين الداخلي ترك فراغا واسعا جعل المؤرخين والباحثين يعتمدون بشكل شبه كلي على المدونات والتقارير الخارجية كمصدر أساسي لمعرفة تفاصيل حركة المجتمع والدولة (1)

وقد أدى هذا الغياب إلى ظهور سرديات تقليدية اتسمت أحيانا بالأحكام العامة أو التفسيرات الأحادية التي تحجب التعقيدات الجيوسياسية الحقيقية التي مرت بها البلاد، وعليه أصبح لزاما على البحث العلمي الحديث تبني مقاربات نقدية جديدة تعيد الاعتبار للمادة الأرشيفية المتاحة لسد الثغرات التاريخية وفهم طبيعة التحولات البيكيو سياسية بعمق وموضوعية (2)

وتبرز هنا أهمية التحرر من القوالب التقليدية في التفسير التاريخي حيث تتيح العودة إلى الوثائق الأصلية فرصة حقيقية لإعادة بناء الأحداث وفق سياقاتها الموضوعية، إن معالجة هذه الإشكالية المنهجية تمثل حجر الأساس لأي محاولة جادة لتصحيح المفاهيم المرتبطة بمراحل التأسيس والانتقال السياسي في تاريخ ليبيا الحديث

ثانيا ـ الأهمية التاريخية للوثائق البريطانية والمصرية:

تشكل الوثائق والمراسلات والتقارير الرسمية المحفوظة في الأرشيفات البريطانية والمصرية موردا تاريخيا رئيسيا لا غنى عنه لأي باحث جاد في تاريخ ليبيا الحديث والمعاصر فهي لا تقتصر على كونها مجرد أوراق دبلوماسية إنما تمثل سجلا حيا وشاملا يعكس بدقة نبض التحولات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي شهدتها المنطقة عبر عقود طويلة (3)

تقدم هذه الوثائق منظورا خارجيا غنيا بالتفاصيل والإحصائيات الدقيقة التي وثقتها الدوائر الاستعمارية والدبلوماسية مما يتيح تفسيرا علميا وعميقا لكثير من خبايا الصراعات المحلية والإقليمية، كما تمنح الباحث القدرة على تتبع تداخل المصالح الدولية مع الطموحات الإقليمية المجاورة وتأثير ذلك المباشر على رسم مسارات القرار السياسي الليبي في مختلف المراحل، ولا ترتبط أهمية هذه المادة الوثائقية بكونها مجرد ناقل للأحداث إنما تكمن في قدرتها التحليلية على كشف دوافع الدول الكبرى ومحددات أمنها القومي وتشابكاتها مع البيئة الإقليمية المحيطة هذا الإرث الأرشيفي يسهم بشكل مباشر في تقديم قراءة رصينة ومنصفة تبتعد عن التسطيح وتبرز التعقيدات الفعلية للواقع التاريخي الليبي (4)

إن التقاطع والتكامل بين الأرشيفين البريطاني والمصري يمنحان الدارسين أدوات منهجية صارمة لتقاطع الروايات المتباينة يتيح هذا التقاطع إمكانية اختبار مدى مصداقية الروايات الرسمية ومقارنتها بالواقع المعيش مما يسهم في بناء قاعدة موضوعية صلبة تعيد كتابة التاريخ الليبي بمزيد من الحياد والعمق الأكاديمي (5)

ثالثا ـ طبيعة وتصنيفات الأرشيفات البريطانية المتعلقة بليبيا:

تتوزع الأرشيفات البريطانية المتعلقة بتاريخ ليبيا على عدة مؤسسات رئيسية، أبرزها الأرشيف الوطني البريطاني (TNA) الذي يضم الكم الأكبر من سجلات وزارة الخارجية ودول الكومنولث (Foreign Office) تغطي هذه السجلات فترات زمنية واسعة تبدأ من أواخر القرن الثامن عشر وتستمر عبر مختلف المحطات التاريخية وصولا إلى منتصف القرن العشرين، مصنفة في مجلدات وملفات دقيقة (6)

تتضـــمن هذه الســـجلات مراســـلات عامة ومعاهدات واتفاقيات بالغة الأهمية، مثل مجلدات وزارة الخارجية (مثل FO 76 وFO 160) التي تحتوي على تقارير تفصيلية أرســـلها القناصـــل ونواب القناصـــل والوكلاء البريطانيون من طرابلس وبنغازي ومرزق، هذه التقارير لم تقتصـــر على الشـــأن الســـياســـي إنما امتدت لتشـــمل رصـــد الأوضـــاع الاقتصـــادية والصـــحية كأوبئة الطاعون وحركة التجارة والملاحة في البحر المتوسط

يبرز الأرشـــيف البرلماني البريطاني (The Parliamentary Archives) إلى جانب ســـجلات وزارة الخارجية ككنز وثائقي آخر يضـــم الوثائق البرلمانية المعروفة بالكتب الزرقاء (Blue Books) ووثائق مجلسي العموم واللوردات توفر هذه الوثائق تقارير دورية وسنوية عن التجارة الخارجية والتشريعات الخاصة بالإدارة والسياسات الاســـتعمارية وتقييم انعكاســـاتها على الأوضـــاع العامة في المنطقة كما تحتفظ مكتبات الجامعات البريطانية العريقة كجامعات (لندن وأكسفورد وأدنبرة) بمجموعات استثنائية من المراســـلات والمخطوطات والمذكرات الشـــخصـــية للقناصـــل والرحالة ومشـــاريع القوانين والدســـاتير مثل: وثائق الفيلســـوف جيرمي بينثام تتيح هذه التشـــكيلة الواســـعة والمتنوعة من التصـــنيفات الأرشـــيفية للباحثين إمكانية الوصـــول إلى مادة خام غنية ومتعددة الزوايا لدراسة تفاصيل التاريخ الليبي (7)

المحور الثاني ـــــــ الجوانب السياسية والدبلوماسية من خلال الوثائق (1835-1911):

شـــهدت ليبيا خلال الفترة الممتدة بين عامي 1835 و1911 تحولات ســـياســـية وجيوســـياســـية بالغة الأهمية شـــكلت ملامح تاريخها الحديث والمعاصـــر بعمق، وقد نجحت الأرشـــيفات الأجنبية ولا ســـيما البريطانية والمصـــرية في رصـــد وتوثيق هذه التحولات بدقة متناهية كشـفت خبايا الصـراعات الإقليمية والدولية، يهدف هذا المحور إلى تحليل الأبعاد الســـياســـية والدبلوماســـية لتلك المرحلة بتفكيك مضـــامين الوثائق الرسمية والتقارير القنصلية ومراسلات الرحالة والنخب (8)

أولا ـ العهد العثماني الثاني وإعادة بسط السيطرة المباشرة (1835 وما بعدها):

تُظهر قراءة الوثائق البريطانية والمصـرية تفاصـيل دقيقة حول مرحلة انتهاء الحكم القرمانلي وعودة الإدارة العثمانية المباشـــرة إلى ولاية طرابلس الغرب ابتداءً من عام 1835م وما بعدها فقد وثقت التقارير الدبلوماســـية حجم الاضـــطرابات الأمنية

والتوترات السياسية التي رافقت هذا التحول الإداري الجذري وكيف نظرت القوى الكبرى إلى إعادة فرض السيطرة الإدارية على الولايات الغربية (9)

كما تعكس الوثائق المتبادلة طبيعة ردود الفعل المحلية والقبلية تجاه سياسات المركز العثماني الجديد ومحاولاته فرض نظام إداري وضريبي مختلف عما اعتادته المنطقة وألقت هذه التقارير الضوء على التحديات الأمنية المستمرة التي واجهت الولاة العثمانيين الأوائل في إخضاع بعض الأقاليم الداخلية وتثبيت أركان السلطة المركزية(10)

وتابعت الدوائر البريطانية والمصرية عن كثب هذه التطورات باعتبارها متغيرا حاسما يؤثر على توازن القوى في حوض البحر المتوسط وطرق التجارة الصحراوية، وفَّرت تلك الوثائق قراءة تحليلية معمقة لكيفية إدارة السلطات العثمانية للنزاعات الداخلية ومواجهتها للضغوط الأوروبية المتزايدة على الشواطئ الليبية (11)

ثانيا ـ شبكات القناصل والتقارير الاستخباراتية والدبلوماسية:

لعبت شبكة القناصل ونواب القناصل والوكلاء البريطانيين والأجانب المنتشرين في طرابلس وبنغازي ودرنة ومصراتة دورا محوريا في توفير تدفق هائل ومستمر من المعلومات الاستخباراتية والدبلوماسية فقد كانت تقاريرهم بمثابة عيون أجهزة دولهم في المنطقة حيث رصدت بدقة متناهية تفاصيل الصراعات المحلية والقبلية وتوازنات القوى الإقليمية المتحركة في ولاية طرابلس والجهات المجاورة (12)

واهتمت هذه التقارير بمراقبة نشاط القوى الأوروبية المنافسة لبريطانيا في حوض البحر المتوسط، مثل فرنسا وإيطاليا وتتبع تحركات وكلائهم ودبلوماسييهم في الشمال الأفريقي وساعدت هذه المادة الأرشيفية صانع القرار في لندن على فهم طبيعة العلاقات المتبادلة بين الباب العالي والسلطات المحلية والقبائل الليبية

كما قدمت الوثائق القنصلية بيانات تفصيلية عن الأوضاع السياسية اليومية والتحالفات المتغيرة التي كانت تصنع المشهد المحلي طوال القرن التاسع عشر، ورغم الطابع المصلحي والسياسي الذي غلب على تلك التقارير لحماية مصالح الإمبراطورية البريطانية، إلا أنها أصبحت مصدرا لا يقدر بثمن لسد الفجوات التاريخية التي أهملتها المدونات المحلية (13)

ثالثا ـ رحلات الاستكشاف ودورها في خدمة السياسات الاستعمارية:

شكلت الموانئ الليبية نقطة انطلاق رئيسية لعشرات الرحلات التي قادها المستكشفون والرحالة البريطانيون والأجانب نحو أعماق القارة الأفريقية والصحراء الكبرى، وقد ارتبط تأسيس شبكات الوكلاء والقناصل بجهود جمعيات بحثية

واستكشافية مثل "الرابطة الأفريقية" التي هدفت إلى الوصول لطرق التجارة ومصادر المواد الخام وأسواق تصريف المنتجات (14)

وتحمل مراسلات وتقارير المستكشفين - مثل ما جرى توثيقه في مراسلات الكسندر جوردون لينغ مع القنصل هانمر وارينغتون- كما هائلا من المعلومات الجغرافية والسياسية والبشرية عن دواخل ليبيا وأفريقيا جنوب الصحراء ورغم الأهداف الاستعمارية والتمويل الرسمي الذي وقف خلف تلك الرحلات من وزارات المستعمرات، إلا أن كتاباتهم وثقت بدقة واقع القبائل وشبكات التجارة وحركة القوافل وأتاحت هذه الوثائق والمذكرات للدوائر البريطانية تقييما ميدانيا شاملا لفرص التجارة والاستثمار والاستغلال الاقتصادي في تلك الأقاليم النائية، كما ساهمت في تقديم منظور أجنبي غني بالتفاصيل حول طبيعة الحياة الاجتماعية والسياسية في المناطق التي عبرها أولئك الرحالة في طريقهم نحو حوض نهر النيجر ووسط أفريقيا(15)

رابعا ـ النخب السياسية الليبية وتفاعلاتها الدبلوماسية:

تبرز الوثائق التاريخية دور النخب السياسية والمثقفة الليبية التي تفاعلت مبكرا مع الدوائر الدبلوماسية الأوروبية في محاولة لتطوير البلاد وحمايتها من أطماع القوى الكبرى وتبرز في هذا السياق شخصيات محورية مثل السياسي والمثقف حسونة الدغيس الذي شغل مهام دبلوماسية رفيعة مبعوثا وسفيرا لبيئة الحكم في طرابلس لدى عواصم أوروبية كباريس ولندن وإسطنبول (16)

وتكشف الوثائق البريطانية والأرشيفات المرتبطة بشخصيات مثل الفيلسوف الإنجليزي جيرمي بينثام عن تفاصيل الاتصالات والمشاورات التي جرت بين الطرفين في عشرينات القرن التاسع عشر وأسفرت تلك التفاعلات الدبلوماسية والفكرية عن صياغة مشاريع إصلاحية ووثائق دستورية وقانونية هدفت إلى تنظيم الحياة العامة والدولة في ولاية طرابلس وفق الأفكار الليبرالية الحديثة (17)

تعكس هذه الوثائق طبيعة إدراك النخب الليبية لأهمية الدبلوماسية الموازية والتواصل المباشر مع الفلاسفة وصناع القرار في العواصم الأوروبية لتحقيق مكاسب سياسية واستراتيجية للبلاد كما توفر فهما أعمق لطبيعة الصراعات السياسية الداخلية والتهم التي وجهت لبعض تلك الشخصيات مما يثري قراءة تاريخ ليبيا الحديث بأبعاده النخبوية والفكرية (18)

المحور الثالث ـــــــــ التحولات الاقتصادية والاجتماعية والتشريعية في القرنين التاسع عشر والعشرين:

شـهدت ليبيا خلال القرنين التاسـع عشـر والعشـرين تحولات جذرية ومؤثرة على الصـعد الاقتصـادية والاجتماعية والتشـريعية التي انعكسـت بوضـوح في ثنايا الوثائق والأرشـيفات الأجنبية، فقد وثقت التقارير الرسـمية والتقارير القنصـلية بدقة تفاصـيل حركة الأسـواق والتشـريعات المنظمة لحياة السـكان والرعايا الأجانب في المنطقة، يهدف هذا المحور إلى استعراض هذه التحولات وتفكيك أبعادها الاقتصادية والاجتماعية والقانونية من خلال المصادر الأرشيفية المتاحة.

أولا ـ تقارير التجارة والمالية والأسواق الخارجية:

تقدم التقارير التجارية والدبلوماسـية الصـادرة عن وزارة الخارجية البريطانية ولا سيما السلسلة السنوية الشهيرة (مثل تقارير السلسلة رقم 130)، صورة بالغة الدقة والشـمول عن واقع الاقتصـاد والمالية في ولاية طرابلس الغرب فقد رصـدت هذه التقارير بدقة متناهية حجم التبادل التجاري وطبيعة السـلع الواردة والصـادرة وحركة الأسواق المحلية في المدن والموانئ الرئيسية مثل طرابلس وبنغازي (19)

كما اهتمت تلك الوثائق بتقييم فرص الاسـتثمار الاقتصـادي المتاحة أمام الشـركات والقوى الأجنبية وتابعت بدقة مؤشـرات الأسـعار والضـرائب والرسـوم الجمركية المفروضـة على الصـادرات والواردات وأتاحت هذه البيانات الإحصـائية للدوائر الرسـمية في لندن فهما عميقا للبنية الاقتصـادية المحلية وقدرة الأسـواق الليبية على اسـتيعاب المنتجات الأوروبية أو تزويد الخارج بالمواد الخام (20) ، وأسـهمت هذه التقارير في سـد الفجوة الكبيرة الناتجة عن ندرة الإحصـاءات والبيانات المحلية الصـادرة عن الجهات العربية في تلك الفترة وبفضـل هذا التوثيق المنتظم، بات بإمكان الباحثين تتبع تطور الأنشـطة المالية والتجارية ومعرفة المسـارات التي حكمت الحياة الاقتصادية لولاية طرابلس طوال القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين (21)

ثانيا ـ الوثائق القانونية ومعاهدات حماية التجارة والرعايا:

تشـكل المعاهدات والاتفاقيات المبرمة بين الحكومة البريطانية وباشـوات طرابلس ركيزة أسـاسـية لفهم الإطار القانوني والتحولات الدبلوماسـية التي نظمت الملاحة والتجارة في حوض البحر المتوسـط وقد حوت مجلدات الأرشـيف الوطني البريطاني (مثل المجلد FO 141/93) نصـوصـا متعددة لتعاهدات كتبت باللغات العربية والإنجليزية والإيطالية لتنظيم شؤون الملاحة وحماية المصالح المتبادلة (22)

لعبت هذه الاتفاقيات دورا محوريا في كبح نشـــاط القرصـــنة البحرية وتأمين خطوط التجارة البريطانية والرعايا الأوروبيين المترددين على الموانئ الليبية ومن أبرز هذه المحطات الاتفاقية التاريخية المبرمة في عام 1816م بين يوســـف باشـــا القرمانلي وإدوارد بيليو والتي نصـــت صـــراحة على التوقف عن اســـترقاق المســـيحيين وحماية السفن المبحرة تحت الراية البريطانية وحلفائها (23)

كما تضـــمنت الوثائق تفاصـــيل دقيقة حول وضـــع الحمايات القنصـــلية والامتيازات القانونية الممنوحة للرعايا الأجانب وتحديد آليات تســـوية النزاعات التجارية والقانونية التي تنشأ داخل موانئ الولاية وفرت هذه المدونات القانونية مظلة تنظيمية ساهمت في تأطير العلاقة بين السلطات المحلية في طرابلس والقوى الأوروبية الكبرى وفق قواعد معترف بها دبلوماسيا في ذلك العصر (24)

ثالثا ـ الأوضاع الاجتماعية والأزمات الصحية وقضايا الرق:

عكســـت التقارير والمراســـلات القنصـــلية إلى جانب وثائق المؤســـســـات الحقوقية والإنســـــانية مثل "أرشـــيف جمعية مكافحة العبودية" جوانب بالغة الأهمية عن الواقع الاجتماعي والصـــحي في ليبيا خلال القرن التاسع عشـــر وبدايات القرن العشـــرين؛ فقد وثَّقت هذه الملفات بمرارة تفشـــي الأوبئة المدمرة وفي مقدمتها مرض الطاعون وما خلَّفه من خســـائر بشـــرية هائلة وأزمات معيشـــية طحنت المجتمع المحلي وأثرت على حركة الإنتاج(25)

كما اهتمت أدبيات أرشـيف جمعية مكافحة العبودية برصـد وتتبع ظاهرة تجارة الرقيق في طرابلس ومناطق السـاحل والداخل إضـافة إلى متابعة أوضـاع السـجناء والمرحلين قســـرا، مثل ملف الســـجناء العرب المرحبين عام 1912م وقدمت هذه الوثائق بيانات تفصـيلية عن شـبكات جلب الرقيق عبر الصـحراء الكبرى وأسـواق بيعهم ومحاولات الضغط البريطانية والأوروبية للحد من هذه الممارسات (26)

تكتسـب هذه التقارير الإنسـانية والصـحية قيمة اسـتثنائية نظرا لندرة التدوين المحلي الذي يوثق اليوميات الاجتماعية ومعاناة الطبقات الفقيرة والفئات المهمشـــة في تلك الحقب ومن خلالها يستطيع الباحث بناء لوحة متكاملة عن البنيات الاجتماعية والهزات الديموغرافية ومدى تأثير الأزمات الصـــحية والبيئية على الاســـتقرار العام في ولاية طرابلس (27)

رابعا ـ مساهمات الفكر القانوني والتشريعي (نموذج جيرمي بينثام) :

تبرز مســاهمات الفكر القانوني والتشــريعي كواحدة من أغرب وأهم المحطات التي وثقتها أرشـــيفات جامعات لندن وأكســـفورد تحديدا في وثائق الفيلســـوف والمصـــلح

القانوني الإنجليزي جيرمي بينثام؛ فقد شهدت فترة عشرينات القرن التاسع عشر اتصالات مكثفة ومشاورات سياسية بين بينثام والمثقف والسياسي الليبي حسونة الدغيس أثناء عمله سفيرا ومبعوثا ليوسف باشا القرمانلي في لندن (1821-1825)(28)

أثمرت هذه الاتصالات المباشرة عن صياغة مدونات ومشروعات دستورية وقانونية مخصصة لولاية طرابلس، جمعت معظمها في صندوق برقم (24) ضمن أرشيف جامعة لندن وتضمنت مقترحات للتعديلات الدستورية والقانونية المستندة إلى المبادئ الليبرالية وحملت تلك الوثائق رؤية فكرية متقدمة سعت لتنظيم بنية الدولة والسكان وحقوق الملكية في الإيالة الطرابلسية على غرار ما كتبه بينثام لليونان وإسبانيا والبرتغال (29)

وتعكس هذه الوثائق التشريعية مدى انفتاح النقافة السياسية الليبية الممثلة في شخصيات كحسونة الدغيس على الفكر الإصلاحي الأوروبي الحديث لمحاولة تطوير الإدارة والتشريع الداخلي كما تمثل شاهدا تاريخيا فريدا على تقاطع الفكر الفلسفي القانوني الغربي مع واقع البيئة السياسية والاجتماعية في طرابلس خلال تلك المرحلة المبكرة من القرن التاسع عشر (30)

المحور الرابع ـــــ مرحلة الانتقال الإدارة العسكرية وما بعد الاستقلال (1911-1961):

مثَّلت الفترة الممتدة بين عامي 1911 و1961 منعطفا تاريخيا حاسما شهد انهيار السيطرة العثمانية، مرورا بتجربة الاحتلال الإيطالي والإدارة العسكرية وصولا إلى إعلان الاستقلال وتأسيس الدولة الحديثة وقد وثقت الأرشيفات البريطانية والمصرية هذه التحولات الكبرى بدقة متناهية كشفت خبايا الصراعات الدولية والضغوط الجيوسياسية، يهدف هذا المحور إلى تحليل مراحل الانتقال السياسي وتبعات الاستقلال من خلال الوثائق والتقارير الرسمية المتاحة (31)

أولا ـ الوثائق البريطانية والإيطالية وانعكاسات الاحتلال:

تقدم الوثائق البرلمانية وتقارير وزارة الخارجية البريطانية قراءة تحليلية عميقة لردود الفعل الدولية وحجم التقييمات الاستراتيجية المرافقة للغزو الإيطالي لليبيا عام 1911م؛ فقد رصدت الدوائر الدبلوماسية البريطانية تفاصيل الحملة العسكرية الإيطالية وتتبعت بدقة الأعباء المالية والسياسية الباهظة التي فرضها هذا التوسع على الموارد الاقتصادية الإيطالية في تلك المرحلة (32)

وتبرز الوثائق المتاحة في الأرشيف البرلماني مثل المراسلات المصنفة تحت رمز (STR/17/3/21)- تنبؤات وتقييمات الدبلوماسيين البريطانيين المبكرة، ومثل تقرير ستراتشي الموجه إلى باجوت في مارس 1912م الذي أكد بوضوح أن السيطرة على طرابلس ستكون عبئا ثقيلا ومستنزفا للموارد الإيطالية وعكست هذه التقارير مراقبة بريطانيا الدقيقة لتداعيات الحرب على توازنات القوى في حوض البحر المتوسط وسلامة طرق مواصلاتها الإمبراطورية (33)

كما أسهمت هذه الوثائق في إبراز طبيعة المقاومة المحلية الشرسة التي واجهت الغزو الإيطالي وكيف انعكست تلك التطورات على سياسات الدول الكبرى تجاه إيالة طرابلس السابقة ومن خلال مقارنة هذه التقارير بالأدبيات السياسية المتاحة، تتضح الصورة الحقيقية للضغوط التي تعرضت لها روما في محاولتها إخضاع الأقاليم الليبية بالقوة العسكرية (34)

ثانيا ـ الإدارة العسكرية البريطانية (BMA) وتداعيات الحرب العالمية الثانية:

شكلت فترة الأربعينيات ومرحلة الحرب العالمية الثانية وما بعدها محطة بالغة التعقيد في تاريخ ليبيا الحديث والتي ظهرت تفاصيلها جلية في ملفات وسجلات الإدارة العسكرية البريطانية (BMA) لأقاليم طرابلس وبرقة فقد وثقت هذه الملفات طبيعة الإدارة المؤقتة والتدابير السياسية والإدارية التي اتخذتها سلطات الاحتلال البريطاني في إدارة شؤون البلاد وسط ظروف اقتصادية واجتماعية بالغة القسوة (35)

واهتمت الوثائق الأرشيفية بتتبع القوانين التنظيمية والإدارية المتعلقة بحركة النقل والملاحة والشحن التجاري، مثل الأوامر والقرارات الصادرة بموجب قانون الشحن التجاري لعام 1894 (مثل قرارات أكتوبر 1944 وملفات الإدارة في طرابلس ومالطا) وألقت هذه السجلات الضوء على كيفية تنظيم السلطات البريطانية للأنشطة الاقتصادية والخدمية الملحة لاستمرار الحياة العامة وحماية خطوط إمداداتها العسكرية في شمال أفريقيا (36)

كما وفرت هذه الأرشيفات فهما دقيقا لطبيعة الترتيبات الإدارية المحلية التي سبقت تقرير مصير البلاد وتأسيس الكيان السياسي المستقل مما يتيح للباحثين تتبع الانتقال التدريجي من الحكم العسكري الأجنبي إلى مرحلة الاستقلال الوطني تحت مظلة الأمم المتحدة (37)

ثالثا ـ التحليل المقارن لمسارات استقلال ليبيا وتأسيس الدولة:

يقدم التحليل المقارن للوثائق البريطانية والمصرية رؤية نقدية متكاملة لكواليس اتخاذ القرار السياسي الليبي قبيل وبعد إعلان الاستقلال عام 1951م كاشفا عن طبيعة

التوازنات الإقليمية والدولية التي أحاطت بولادة الدولة الحديثة وتؤكد الوثائق أن خيارات الدولة الوليدة لم تكن مجرد نتاج لإرادة محلية خالصة إنما انعكاسا بيئيا لضغوط الحرب الباردة والتحديات الأمنية الوجودية والواقع الاقتصادي المتردي الذي فرض نفسه على القيادة السياسية الجديدة (38)

تكشف المراسلات المتبادلة في الأرشيفين البريطاني والمصري عن حجم التقاطع والتجاذب بين المصالح الاستراتيجية الغربية والطموحات القومية العربية في توجيه البوصلة السياسية الليبية، وتفند هذه الوثائق السرديات التقليدية التي فسرت علاقات ليبيا الدولية على أنها استسلام مطلق، محددة إياها كاستجابة قسرية لضرورات الاستقرار الإقليمي وحماية كيان الدولة الناشئة وسط صراعات المعسكرات الكبرى.

تمنح هذه المقارنة الأرشيفية الباحثين أدوات دقيقة لتحليل أثر التدخلات الأمنية والاتفاقيات السياسية في صياغة الهوية الوطنية، مؤكدة أن كتابة تاريخ تلك المرحلة تتطلب بالضرورة تقاطع وتفكيك الروايات المتعارضة للأرشيفات المختلفة للوصول إلى موضوعية أكاديمية بعيدة عن التحيزات الأيديولوجية (39)

رابعا ـ تقيم اتفاقيات ما بعد الاستقلال ومعاهدات الدفاع والتعاون:

توثق السجلات الرسمية بدقة تفاصيل اتفاقيات مرحلة ما بعد الاستقلال التي أبرمتها الحكومة الليبية الوليدة مع القوى الكبرى لتثبيت دعائم استقرارها الاقتصادي والأمني، وتبرز في مقدمة هذه الوثائق "اتفاقية الصداقة والتحالف بين المملكة الليبية وبريطانيا" المبرمة في ديسمبر 1953م التي نظمت إنشاء قواعد عسكرية بريطانية على الأراضي الليبية مقابل تقديم دعم مالي واقتصادي بريطاني مباشر لميزانية الدولة(40) كما تعكس وثائق الأرشيف البريطاني والبرلماني -مثل سلسلة المعاهدات رقم 83 وتبادل المذكرات بشأن تأسيس "الوكالة العامة للتنمية والاستقرار الليبية" في طرابلس- طبيعة الآليات التنفيذية المعتمدة لتمويل مشاريع التنمية والبنية الأساسية في ظل العجز المالي الحاد الذي واجه المملكة في سنواتها الأولى، وشملت هذه الملفات تتبع أُطر التعاون الإقليمي والدولي والبرامج التنموية المرتبطة بشركات الخدمات والبنوك الكبرى مثل بنك الصحاري خلال عقود الستينيات (41)

تشكل هذه الاتفاقيات والمعاهدات مادة بحثية جوهرية تتيح للدارسين تقييم حجم السيادة والخيارات الاقتصادية المتاحة أمام الدولة الليبية الحديثة وكيف وظفت قيادتها السياسية الدبلوماسية والمعاهدات الثنائية لتأمين بقائها وازدهارها في محيط دولي مضطرب (42)

المحور الخامس ـــــــ التأثيرات الاستراتيجية والآفاق المستقبلية لإعادة كتابة التاريخ الليبي:

شـهد مسـار كتابة وتأريخ تاريخ ليبيا الحديث والمعاصـر تحولات منهجية جذرية بفضـل الانفتاح على الأرشـيفات المقارنة مما فتح آفاقا واسـعة أمام البحث العلمي لتجاوز السـرديات الأحادية، يهدف هذا المحور إلى اسـتشـراف الأبعاد الاسـتراتيجية والمنهجية المترتبة على إعادة قراءة الوثائق البريطانية والمصـرية وتأثيرها على المستقبل الأكاديمي للدراسات التاريخية الليبية.

أولا ـ تفكيك السرديات الاستعمارية وتصحيح المفاهيم التاريخية:

تمثل الوثائق الأرشـيفية المتبادلة أداة نقدية بالغة الأهمية لتفكيك السـرديات الاسـتعمارية التقليدية التي احتكرت تفسـير التاريخ الليبي لفترات طويلة فقد سـاهمت دراسة التقارير الدبلوماسية والعسكرية في تصحيح كثير من المفاهيم المغلوطة حول طبيعة المقاومة وحجم التفاعلات المحلية ودوافع القوى الكبرى في المنطقة (43)

تتيح هذه الوثائق للباحثين فرصـة حقيقية لقراءة الأحداث من زوايا متعددة تكشـف التناقضات الكامنة بين التقارير الرسمية المعلنة والسياسات الاستراتيجية الخفية، ومن خلال هذا التفكيك المنهجي تُصحَحُ الصور النمطية التي رسختها الأدبيات الاستعمارية حول شعوب المنطقة ونخبها السياسية والعسكرية (44)

كما يسـاهم هذا النقد الأرشـيفي في إعادة الاعتبار للأدوار الحقيقية التي لعبتها الشـخصـيات الوطنية والنخب المحلية في مواجهة التحديات الخارجية والضـغوط الجيوسياسية؛ وبذلك يتحول الأرشيف الأجنبي من أداة للهيمنة التاريخية إلى مصدر حيوي لفضح أساليب السيطرة وتوثيق حقائق الصراع بموضوعية تامة (45)

ثانيا ـ آليات التعاون الأكاديمي وتطوير مراكز المحفوظات الوطنية:

تتطلب الاسـتفادة القصـوى من الذخيرة الأرشـيفية الهائلة الموجودة في الأرشـيف الوطني البريطاني ومكتبات الجامعات العالمية بناء شـراكات مؤسـسـية واسـتراتيجية فعالة، وتبرز هنا الحاجة الملحَّة لأن تعمل الجامعات والمراكز البحثية الليبية، مثل مراكز الدراسات التاريخية ودار المحفوظات، على إرساء تعاون مباشر ومستدام مع تلك المؤسسات الدولية (46)

إن عملية إتاحة الأنظمة الرقمية وتسهيل الدفع الإلكتروني المباشر للباحثين الليبيين تكتسب أهمية بالغة لكسر حواجز الجغرافيا والتكلفة المالية في الحصول على الوثائق والمخطوطات الأصلية إن دمج هذه التقنيات الحديثة يضمن للباحثين المحليين الولوج

السريع إلى قواعد البيانات العالمية وتحديث أدواتهم البحثية بصورة مستمرة وتفرض المرحلة الحالية ضرورة إنشاء منصات وطنية رقمية موحدة تجمع الوثائق والمراسلات المترجمة وتصنفها وفق أحدث المعايير الأرشيفية العالمية مثل هذه الخطوات المؤسسية ستسهم بشكل مباشر في تهيئة بيئة بحثية محفزة قادرة على إنتاج دراسات تاريخية رصينة ومستقلة (47)

ثالثا ـ تحديات الترجمة والتحليل اللغوي والتخصصي:

تواجه عملية توظيف الوثائق البريطانية والمصرية في البحث التاريخي المحلي تحديات جسيمة مرتبطة بالتعقيدات اللغوية والمصطلحية السائدة في فترات الكتابة التاريخية المختلفة؛ فالجزء الأعظم من الوثائق البريطانية مكتوب بخط اليد وبلغة إنجليزية قديمة تتطلب تخصصات دقيقة في فك رموزها وفهم سياقاتها الدبلوماسية والقانونية (48)

بالإضافة إلى ذلك، تضم الأرشيفات كميات معتبرة من المراسلات باللغات الإيطالية والفرنسية والعثمانية المكتوبة بأقلام القناصل والوكلاء مما يستلزم بناء فرق بحثية متعددة التخصصات ويبرز دور أقسام التاريخ بالجامعات الليبية في إعداد جيل جديد من الباحثين المدربين على مهارات الأرشيف والتحليل اللغوي المقارن.

تتطلب هذه التحديات تبني خطط وطنية شاملة لترجمة المتاح من تلك الوثائق والتقارير الرسمية إلى اللغة العربية، لنشرها وإتاحتها للباحثين والمهتمين بأسلوب علمي دقيق، إن تذليل هذه العقبات اللغوية والتقنية يمثل مفتاحا أساسيا لإثراء المكتبة التاريخية العربية بدراسات نوعية مستندة إلى أصول وثائقية صلبة (49)

رابعا ـ آفاق المستقبل لإنتاج كتابة تاريخية وطنية وموضوعية:

تؤسس المنهجيات الحديثة المستمدة من تقاطع الأرشيفات المتعارضة لمرحلة جديدة في كتابة تاريخ ليبيا الحديث والمعاصر برؤية نقدية متحررة من التحيزات الأيديولوجية، إن دمج الروايات المحلية والمتقاطعة مع الوثائق البريطانية والمصرية يفتح الباب واسعا أمام صياغة سردية وطنية متوازنة وشاملة ، وتستشرف هذه الآفاق المستقبلية ضرورة تجاوز الدراسات التقليدية الوصفية نحو مقاربات تحليلية أعمق تربط بين المتغيرات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في إطارها الإقليمي والدولي هذا التوجه الأكاديمي سيمكِّن الباحثين من فهم العوامل الحقيقية التي صاغت بنية الدولة الليبية الحديثة ومسارات تطورها التاريخي.

يمثل الاعتماد المنهجي على الوثائق والمصادر الأرشيفية المتعددة الضمانة الأساسية لارتقاء البحث التاريخي الليبي إلى مصاف المعايير العالمية، ومن شأن هذه الرؤية

المستقبلية أن تثري الذاكرة الوطنية بمزيد من الحقائق الموثقة التي تعزز الهوية وتخدم قضايا التنمية والتحديث في الدولة المعاصرة.

الخاتمة :

توجت هذه الدراسة بتسليط الضوء على الأهمية الاستثنائية التي تكتسيها الأرشيفات التاريخية الأجنبية ولا سيما البريطانية والمصرية في سد الفجوات المعرفية الكبيرة التي عانى منها تدوين تاريخ ليبيا الحديث والمعاصر نتيجة شح المصادر المحلية، لقد أثبت التحليل المقارن لتلك الوثائق والمراسلات الرسمية أن التاريخ الليبي لم يكن بمعزل عن التيارات الجيوسياسية الدولية والإقليمية إنما كان مرآة صادمة لتفاعلات معقدة صاغت مصير البلاد منذ عودة الإدارة العثمانية المباشرة عام 1835 وحتى مرحلة ما بعد الاستقلال وتأسيس الدولة الحديثة عام 1961.

وتبرز الضرورة الملحة لتبني المؤسسات الأكاديمية ومراكز الأبحاث الليبية استراتيجيات واضحة لترجمة ودراسة هذه الذخائر الأرشيفية المتاحة في الأرشيف الوطني البريطاني ومكتبات الجامعات العريقة، إن تجاوز السرديات التقليدية المتقاطعة والذهاب نحو قراءة نقدية تعتمد على تقاطع الأرشيفات المتعارضة يمثل السبيل الأمثل لإنتاج معرفة تاريخية رصينة وموضوعية تبتعد عن التفسيرات الأحادية وتمنح الباحثين أدوات دقيقة لفهم جذور التحولات السياسية والاقتصادية والاجتماعية بعمق وموضوعية تامة.

الإجابة على تساؤل الدراسة:

إلى أي مدى ساهمت الوثائق البريطانية والمصرية في تصحيح وإعادة كتابة السردية التاريخية لليبيا الحديثة في الفترة ما بين 1835 و1961؟

ساهمت الوثائق البريطانية والمصرية بدرجة بالغة الجوهرية والعمق في تصحيح وإعادة كتابة السردية التاريخية لليبيا الحديثة حيث أزاحت الستار عن طبقات خفية من الأحداث التي غيبتها أو همشتها محدودية التدوين المحلي العربي خلال الفترة من 1835 إلى 1961 فقد قدمت التقارير الدبلوماسية والقنصلية والاستخباراتية رؤى تحليلية دقيقة حول طبيعة الصراعات المحلية والقبلية وتوازنات القوى الإقليمية وكواليس التدخلات الأجنبية مما فكك العديد من المفاهيم التقليدية السائدة وأحل محلها فهما استناديا موثقا بالأرقام والتواريخ.

وعلى صعيد التحولات السياسية والدبلوماسية والاقتصادية أتاحت هذه الوثائق إمكانية قراءة الأحداث وفق سياقاتها الجيوسياسية الحقيقية مبرزة أن خيارات الدولة الليبية وتوجيهاتها لم تكن دائما نتاج إرادة حرة مطلقة إنما كانت استجابات قسرية

لضـرورات أمنية واقتصـادية ملحة وسـط صـراعات المعسـكرات الكبرى والحرب الباردة، هذا التداخل الأرشـيفي بين الأرشـيفين البريطاني والمصـري نجح في تقديم منظور متوازن يكشـف دوافع الأطراف المتصـارعة ويوضـح بدقة أبعاد المعاهدات الاستراتيجية واتفاقيات الدفاع والتنمية التي مهدت لبناء الدولة الحديثة المستقلة.

بناءً على ذلك؛ تجاوزت المسـاهمة المعرفية لهذه الوثائق مجرد سـد الثغرات التاريخية البحتة إلى إعادة هندسـة الإطار المنهجي المعتمد في دراسـة التاريخ الليبي برمته، لقد أثبتت المادة الأرشـيفية أن كتابة التاريخ بإنصـاف وعدالة لا يمكن أن تتحقق إلا عبر التقاطع الصـارم للروايات المتعارضـة واسـتنطاق الملفات الاسـتعمارية والمحلية معا مما حرر الدراسـات الأكاديمية من قيود الأحكام الأيديولوجية المسـبقة وأرسـى دعائم موضوعية صلبة لتأريخ مراحل التأسيس والانتقال السياسي.

نتائج البحث:

1ـــ أكدت الدراسة أن ندرة التدوين المحلي والمصادر العربية جعلت من الأرشيفات الأجنبية وفي مقدمتها البريطانية والمصرية، المورد الرئيسي والجوهري لسد فجوات المعلومات التاريخية وإعادة بناء سردية تاريخ ليبيا الحديث والمعاصر.

2ـــ أثبتت الوثائق أن شـبكات القناصـل والوكلاء الدبلوماسـيين ومراسـلات الرحالة والمستكشفين شكلت عيونا استخباراتية دقيقة رصدت تفاصيل إعادة بسط السيطرة العثمانية المباشرة وحركة النخب السياسية كحسونة الدغيس بدقة متناهية.

3ـــ كشفت التقارير التجارية (مثل السلسلة 130) ومعاهدات وقف القرصنة وحماية التجارة عن واقع مالي واجتماعي شـديد التعقيد، تخللته أزمات صـحية كبرى كمرض الطاعون ومحاولات إصلاح تشريعي وفكري بارزة كنموذج الفيلسوف جيرمي بينثام.

4ـــ أظهرت وثائق الأرشيف البرلماني والخارجي البريطاني أن الغزو الإيطالي لليبيا عام 1911 مثل عبئا ماليا وسـياسـتراتيجيا مسـتنزفا للموارد الإيطالية، تلاه في الأربعينيات نظام إداري معقد عبر الإدارة العسكرية البريطانية (BMA) .

5ـــ وضـحت التحليلات المقارنة للأرشـيفين البريطاني والمصـري أن اسـتقلال ليبيا وتوقيع اتفاقيات التحالف والدفاع المشـترك (كaccordo ديسـمبر 1953) وتأسـيس وكالة التنمية والاسـتقرار جاءت اسـتجابة لضـغوط الحرب الباردة والواقع الوجودي والاقتصادي المتردي.

استنتاجات البحث:

1ـــ تمثل الأرشيفات البريطانية والمصرية منجم معلومات لا يعوض، نظرا لشمولية مجلداتها (مثل FO 76 وFO 160) التي تغطي بدقة كافة تفاصيل الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية في ولاية طرابلس الغرب.

2- إن غياب الإحصاءات والبيانات المحلية الموثوقة خلال القرنين التاسع عشر ومطلع العشرين جعل الاعتماد على التقارير القنصلية والكتب الزرقاء أمرا حتميا لا غنى عنه للباحث الأكاديمي.

3ـــ لعبت شبكة القناصل ونوابهم في طرابلس وبنغازي ومرزق دورا استخباراتيا ودبلوماسيا مزدوجا في حماية مصالح الإمبراطورية البريطانية وفي الوقت ذاته توثيق نبض الشارع المحلي.

4ـــ تعد رحلات المستكشفين والرحالة البريطانيين انطلاقا من الموانئ الليبية نحو أفريقيا جنوب الصحراء جزءا لا يتجزأ من استراتيجيات التوسع التجاري والاستعماري الممول من وزارات المستعمرات.

5ـــ عكست التفاعلات الفكرية والسياسية بين النخب الليبية (مثل حسونة الدغيس) والمفكرين الأوروبيين (مثل جيرمي بينثام) وعيا مبكرا بأهمية الدبلوماسية الموازية ومشاريع الإصلاح الدستوري.

6ـــ شكلت المعاهدات والاتفاقيات المبرمة بين باشوات طرابلس وبريطانيا (كaccordo وقف استرقاق المسيحيين عام 1816) إطارا قانونيا ناظما للملاحة وتأمين التجارة الدولية في حوض البحر المتوسط

7ـــ وثقت أدبيات الجمعيات الحقوقية والإنسانية (كأرشيف جمعية مكافحة العبودية) تفاصيل دقيقة عن تجارة الرقيق وأوضاع السجناء والأزمات الصحية والوبائية التي أثرت بعمق على البنية الديموغرافية والاجتماعية.

8ـ أكدت التقارير الدبلوماسية المبكرة لدبلوماسيي بريطانيا (كتقرير ستراتشي 1912) صدق التنبؤات بأن الغزو الإيطالي لليبيا سيشكل عبئا ثقيلا ومستنزفا للموارد الاقتصادية والبشرية لروما.

9ـــ برهنت ملفات الإدارة العسكرية البريطانية وقوانين الشحن التجاري لعام 1894 عن طبيعة الإدارة المؤقتة والترتيبات اللوجستية التي سبقت إعلان استقلال ليبيا تحت مظلة الأمم المتحدة.

10ـــ إن قراءة تاريخ ليبيا الحديث لا يمكن أن تتسق وتكتمل موضوعيتها إلا من خلال التقاطع النقدي بين الأرشيفات المتعارضة (البريطانية والمصرية) مما يحرر البحث

التاريخي من الأيديولوجيات ويقدم فهما حقيقيا لطبيعة القرار السياسي ومحددات الأمن القومي.

بيان تضارب المصالـــح:

يُقر المؤلف بعدم وجود أي تضارب مالي أو علاقات شخصية معروفة قد تؤثر على العمل المذكور في هذه الورقة.

الهوامـــــــــــش :

(1) السبعان، محمد عبدالرحيم (2018) كتابة التاريخ وتسطيره وتدخل الغرب والدول الاستعمارية فيه، بيروت، دار صادر، ص 18

(2) المقيرف، محمد يوسف (2022) ، ليبيا بين الماضي والحاضر ، دار الفرات ، لبنان ، الجزء الثالث ، 25

(3) السبعان، محمد عبدالرحيم، المرجع السابق، ص 30

(4) شلبي، عبد الرحيم (2021م) تاريخ ليبيا ، القاهرة ، الأنجلو المصرية ، ص 69

(5) العقاد ، صلاح (2001) ليبيا المعاصرة ، القاهرة ، الشروق للطباعة والنشر ، ص87

(6) British National Archive TBNA, Foreign Office (FCO) 39/119, letter from D J Speares to R Sarrell and P G A Wakefield, 28 July 1967

(7) Rodd, L R., British military administration of occupied territories in Africa during the years 1941-1947, H M Stationery Office, Great Britain, 1948, p 130.

(8) صبرة ، عبد الرؤوف محمد (2020م) دور الوثائق البريطانية في إعادة كتابة تاريخ ليبيا ، القاهرة ، الأنجلو المصرية ، ص 15

(9) ElGaddari, Sara, The Letters and Reports of British Consular and Diplomatic Agents in Tripoli, 1793-1832: Volume 60, Cambridge University Press, (2021)p 20

(10) صبرة ، عبد الرؤوف محمد (2020م) المرجع السابق ، ص 19

(11) فوده ، عز الدين (2017) ليبيا في مهب الصراع الدولي ، الاسكندرية ، المعارف ، ص 25

(12) Boahen, A Adu, The African Association, 1788-1805, Transactions of the Historical Society of Ghana, Vol 5, No 1 (1961)

(13) شلبي، عبد الرحيم المرجع السابق، ص 165

(14) Jeremy Bentham, Securities Against Misrule and Other Constitutional Writings for Tripoli and Greece, ed Philip Schofield, Oxford, Clarendon Press, 1990.p70

(15) سليمان ، محمد علي(2016) ، الاستعمار البريطاني وأثاره علي شمال أفريقيا ، الاسكندرية ، المعارف ، ص 36

(16) عبد الله، محمود عبد الرحيم (2016م) التاريخ الليبي بين الاستعمار والحرية ، الاسكندرية ،المعارف ، ص 66

(17) السبعان، محمد عبدالرحيم (2018) كتابة التاريخ وتسطيره وتدخل الغرب والدول الاستعمارية فيه، بيروت ، دار صادر، ص 15

(18) ElGaddari, Sara, The Letters and Reports of British Consular and Diplomatic Agents in Tripoli, 1793-1832: Volume 60, Cambridge University Press, (2021)

(19) شكري، أحمد سليم (2016م) أثر الاستعمار الإيطالي علي التاريخ الليبي، بيروت، دار صادر، ص 13

(20) شلبي، عبد الرحيم المرجع السابق، ص 101

(21) TBNA, Records of the Ministry of Defence (DEFE) 7/1013, Middle East report, British Defence Cooperation Committee, 12 November 1956

(22) شلبي، عبد الرحيم المرجع السابق، ص 102

(23) السبعان، محمد عبدالرحيم، المرجع السابق، ص 17

(24) العقاد، صلاح، المرجع السابق، ص 158

(25) Lucas, S W., Divided we stand: Britain, the US and the Suez Crisis, Sceptre, Great Britain, 1991, p 31

(26) بركات، محمد عمر السيد (2012) الوثائق البريطانية وكشف المستور، القاهرة ، الأنجلو المصرية ، 2014م ، ص15

(27) بركات، محمد، المرجع السابق ، ص 20

(28) Jeremy Bentham, Securities Against Misrule and Other Constitutional Writings for Tripoli and Greece, ed Philip Schofield, Oxford, Clarendon Press, (1990)

(29) شلبي، عبد الرحيم المرجع السابق، ص 107

(30) TBNA, FO 371/119730, letter from Watson to Halford, 18 April 1956;TBNA, DEFE 7/2276, reinforced theatre plan, Middle East, letter from Annex to Chiefs of Staff, 22 July 1959; Pargeter, A., Anglo-Libyan relations and the Suez Crisis, Sean W Straw, Anglo Libyan relations and the British military facilities 1964-1970

(31) عبد الله ، محمود عبد الرحيم ، المرجع السابق، ص 133

(32) فوده، عز الدين، المرجع السابق، ص 65

(33) Wright, J., Libya: a modern history, Kent, Croom Helm, Ltd, 1981, 18 p88

(34) زقزوق ، حمدي إبراهيم (2011) كتابة التاريخ الليبي وتدوينه ، الرياض ، العبيكان ، ص25

(35) شكري، أحمد سليم المرجع السابق، ص 22

(36) حكيم ، سامي عبدالله (2019م) أثر العلاقات الدولية في كتابة التاريخ العربي ، القاهرة ، الأنجلو المصرية ، ص 16

(37) حمدي ، الباز علي محمد (2017م) العلاقات المصرية وبريطانيا وتاريخ ليبيا الحديث ، الاسكندرية ، المعارف ، ص 47

(38) بن حليم ، مصطفي أحمد (1996م) صفحات مطوية من تاريخ ليبيا السياسي ، القاهرة وكالة الأهرام ، ص 194

(39) Hand Book on Tripolitania - British Military Administration, LIBYA, (1947)p16

(40) عبد الله ، محمود عبد الرحيم ، المرجع السابق ، ص 166

(41) شلبي، عبد الرحيم المرجع السابق، ص 110

(42) TBNA, FO 371/126042, Foreign Office Memorandum, 8 August 1957

(43) حمدي ، الباز ، المرجع السابق ، ص 36

(44) عبد الله ، محمود عبد الرحيم ، المرجع السابق ، ص 190

(45) فوده ، عز الدين ، المرجع السابق ، ص 30

(46) Louis, W R., American Anti-Colonialism and the Dissolution of the British Empire, International Affairs, Royal Institute of International Affairs, Vol 61, No 3, 1985, pp 395-420.

(47) زقزوق ، المرجع السابق ، ص 233

(48) The Correspondence of Jeremy Bentham, Volume 13: July 1828 to June 1832, Edited by Philip Schofield, Tim Causer, and Chris Riley, UCL Press, (2024(p.20

(49) بن حليم ، مصطفي أحمد ، المرجع السابق ، ص 165